الأبستمولوجيا

ما هي الأبستمولوجيا وبنتيها المعرفية و مهامها ؟

ظهرت الإبستمولوجيا Epistémologie بعد الفلسفة الكانطية وهي مصلح مركب من كلمتين يونانيتين إبستيمي épistémè ومعناها علم و logos بمعنى منطق ، نقد ، نظرية .. فالأبستمولوجيا من حيث الإشتقاق اللغوي هي علم العلوم أي الدراسة النقدية للعلوم وهذا ما لا يختلف عن معناها الإصطلاحي .

الإبستمولوجيا مصطلح قديم ويعني في أصله اليوناني خطاب في العلم ويعود استعملها في الفلسفة الحديثة إلى المفكر إميل أميرسون . كما أستعمله فريديريك فيري في المنتصف الثاني من القرن التسع عشر في مؤلفه " مبادئ الميتافيزيقيا" الذي قسم فيه الفلسفة إلى قسمين : قسم الأنطولوجيا وقسم الإبستمولوجيا.

تعددت إصطلاحات الفلاسفة حول لفظ الإبسيتمولوجيا فعرفها لالاند في معجمه الفلسفي بأنها : " فلسفة العلوم لكن بمعنى أكثر دقة ، فلا تخص فقط دراسة المناهج العلمية التي هي موضوع الميتواوجيا méthodologie والتي تعد جزء من المنطق . كما أنها ليست تركيبا أو توقعا لا حدسا للقوانين العلمية على الطريقة الوضعية أو التطورية . إن في جوهرها الدراسة النقدية لمبادئ وفرضيات ونتائج مختلف العلوم الهادفة إلى تحديد أصلها المنطقي لا النفسي وقيمتها ومدى موضوعيتها ".

نستنتج من هذا التعريف السابق ما يلي :

- الإبستمولوجيا هي فلسفة العلوم .

- الإبستمولوجيا لا تتوقف على الدراسة الوضعية .

- الإبستمولوجيا هي دراسة معنية بالناحية النقدية والتاريخية للمعارف العلمية .

- الإبستمولوجيا هي الدراسة النقدية لمبادئ وفرضيات ونتائج العلوم ، ومدى صحتها وتماسكها ولكن بأي معنى يكون هذا النقد ؟

- الإبستمولوجيا هي دراسة نقدية تبين مدى صحة النتائج وتماسكها في موضوعيتها وقيمتها العلمية

عادة ما يستعمل النقد لوصف الملاحظات التي تتناول جوانب النقص أو الخطأ في موضوع ما أو جوانب السلب والإيجاب وهذا يسمى بالنقد الوصفي .

أما النقد الإبستمولوجي أو العلمي فهو النقد الذي يتناول الجوانب المنطقية للموضوع أي نقد المنطق الداخلي للموضوع أو الأسس التي يقوم عليها الموضوع أو المبادئ التي يستمد منها الموضوع بناؤه وهذا هو النقد الإبستمولوجي أي نقد المنطق الداخلي للموضوع لا النقد النفسي أو الإنطباعي أو الوصفي.

وعلى هذا الأساس يمكن التمييز بين الإبستمولوجيا ونظرية المعرفة التي تعني التقدير النقدي الذي يحدد قيمة المعرفة الإنسانية وحدودها . ويرى لالاند أن نظرية المعرفة مدخلا ضروريا وأداة هامة لكل من أراد دراسة المعارف العلمية دراسة تفصيلية في مختلف المواضيع .

إذن فالأبستمولوجيا الدراسة النقدية للمعرفة العلمية .

يرى بول موي Paul moye أن الإبستمولوجيا هي : " النقد العلمي للمعرفة " وتهدف إلى دراسة المنهج العام للعلوم والعمليات العقلية التي يطبقها العقل البشري على العلم . ويعتبر بول موي النقد العلمي مجرد مرحلة من مراحل التحليل الواعي للمعرفة العلمية يكملها تاريخ العلوم ويستوجب على الدارس أو الباحث القيام بثلاث أدوار ، دور كمؤرخ ، دور كفيلسوف ودور كعالم ليتمكن من التعرف على الكيفية التي يعد بها العقل مناهجه خلال مواجهته للواقع .

لقد ميز لالاند بين الأبستمولوجيا والميتودولوجيا باعتبار أن الأولى دراسة نقدية والثانية دراسة وصفية لكن هذا لا يعني وجود تقاطع بينهما فالدراسة النقدية للمناهج العلمية لا تستغني عن معرفة صيغة هذا المنهج ولذا فإن عمل المنهجية مكمل لعمل الإبستمولوجيا وفي هذا المجال يرى روبير بلانشي " أن الإبستمولوجي لا يمكن أن يستغني في دراسته النقدية عن دراسة مناهج العلوم لأنه في حاجة إلى معرفة صيغة مناهج العلوم التي يدرسها ".وذلك للوقوف على المراحل التي مرت بها عملية الكشف العلمي وتحليلها لإظهار طبيعة العلاقة القائمة بين الفكر والواقع ويقول كلود بارنارد : " أن مناهج وطرق البحث العلمي لا تتعلم إلا في المختبرات حيث يكون العالم أمام مشاكل طبيعية وجها لوجه"

وفي هذا الصدد نجد العالم جون بياجيه فيرى أن الأبستمولوجيا المعاصرة تنظر إلى المعرفة نظرة تكاملية ، وهي لم تعد تفصل بين الذات العارفة والموضوع المعروف .....(سنخصص محاضرة خاصة بهذا العالم جون بياجيه في مفهوم الأبستمولوجيا التكوينية).

يمكن القول أنه حاليا فإن هذه المصطلحات الثلاث : الأبستمولوجيا ، فلسفة العلوم ، نظرية المعرفة تستخدم كمرادفات ففي الفلسفة الفرنكفونية يستخدم مصطلح إبستمولوجيا مرادفة لفلسفة العلوم إلا أن لفظ الإبستمولوجيا يستخدم في الفلسفة الفرنسية . أما لفظ فلسفة العلوم فيستخدم في فلسفة الأنجلوساكسونية في حين يفضل الألمان إستخدام نظرية المعرفة .

وعليه ، إذا كانت تتميز الإبستمولوجيا عن فلسفة العلوم والميتودولوجيا (المنهجية) ونظرية المعرفة من حيث نقد المبادئ والفرضيات والقواعد فإنها تهتم كذلك بالجوانب المنهجية للعلوم وبمسائل المعرفة العلمية عبر التاريخ لذى لا يمكن فصلها عن تاريخ العلوم .

مهام الإبستمولوجيا

يرى باشلار أن برنامج الإبستمولوجيا يتحدد في مهام أساسية نوجزها فيما يلي :

- إبراز القيم الإبستمولوجيا المتجددة للعلم من العلم وليس من الفلسفة ثم البحث في أثر المعارف العلمية في بنية العقل وتطوره القابل للتشكل باستمرار ، وهي مسألة تطرح مشكلة لدى الفيلسوف والعالم معا بالرغم من التباين والإختلاف بينهما .

إستنادا إلى ما سبق من معارف علمية وفلسفية حول الإبستمولوجيا واهتمامها في مناقشة مختلف المسائل العلمية مما يدفع بالباحث إلى معرفة ما أنبثق عنها من فروع وأنواع الإبستمولوجيا .

- **إبستمولوجيا الرياضيات** : يتناول هذا الفرع بزعامة بوانكاريه العلوم الرياضية كموضوع له ثم دراسة المناهج المعتمدة ونقد النتائج في إطار النظريات المعرفية

- **الإبستمولوجيا الفيزيائية** : يمثل هذا الإتجاه باشلار تتناول الموضوع ثم المنهج ونقد النتائج للوصول إلى تطور البنية العقلية العلمية الفيزيائية .

- **إبستمولوجيا العلوم الحيوية** : يعد العالم كلود بارنار من أبرز علماء هذا الإتجاه تتخذ الموضوعات الأنطولوجية والأخلاقية والمعرفية كحقل بحث .

- **إبستمولوجيا العلوم الإنسانية** : يتزعم هذا الإتجاه كل من جون بياجيه و كارل مانهايم ويتخذ هذا الإتجاه الإنسان كموضوع له لإتخاذه العديد من الأبعاد التي تكوّن الظاهرة المعرفية .